Coptology

# الإرتداد عن المسيحية الأرثوذكسية – ٧

# الكنيسة، جسد المسيح الذي يملأ السماء والأرض


دكتور

جورج حبيب بباوي



٢٠١٦

# الكنيسة جسد المسيح الذي يملأ السماء والأرض

اتخذ البعض من هذه العبارة مدخلاً للهجوم على كتاب "العنصرة" للأب متى المسكين. لأن عند هؤلاء، جسد المسيح هو جسد ابن الله الكلمة، وهذا حق، ولكن الكنيسة هي جسد المسيح، ولا يوجد ثنائية، أي جسدين ولا ثلاثة أجساد، كما أشاع الأنبا شنودة بعد ذلك، وكما لا زال الأنبا بيشوي يعيد نفس الفكرة التي لا وجود حتى لظلٍ لها في الكنيسة.

## لا يوجد كم Quantity في التدبير:

عندما يقول رسول الرب: "إن في المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسدياً"، ويكمِّل القول: "وأنتم مملوؤن فيه" (كولوسي ٢: ١٩-٢٠). فالملء ليس بمقياسٍ جسداني حسب قول الرب نفسه: "لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح" (يوحنا ٣: ٣٤). جاء هذا في حديث هام جداً عن الفرق بين ما هو سمائي وما هو أرضي (يوحنا ٣: ٣١) "الأرضي مِن الأرض يتكلم" (٣: ٣١)، لكن "الذي من السماء هو فوق الجميع" (٣: ٣١)، وفوق جميع الذين يتكلمون عن الأرضيات، وفوق كل مكيال نعرفه؛ لأن أي مكيال هو خاص بالأمور المادية التي لها طول وعرض وارتفاع ووزن .. الخ.

## وليس في الأمور السمائية نوع Quality:

ولا تندهش لأن "النوع" مثل الجَمَال، والمجد، والشهرة وكل ما هو حسن وعظيم، ولكنه يوصف بأنه نوع لكي لا يُنسب إلى ما هو كم أو منظور، مثل الذكاء لا يقاس بحجم الجسد ولا يقاس حتى بالقدرات. قد يكون للمنطق Logic قدرة قياسية

مثل منطق سقراط في المحاورات، ومنطق "كانط" أبو حركة التنوير، ولكن أيهما أعظم وأهم، ذلك نوع quality له مجال في الفلسفة وحسب الموضوع، فليس في الفلسفة، ولا حتى في اللاهوت المسيحي الأرثوذكسي عموميات، أي قضايا عامة. ولماذا ننفي النوعيات؟ السبب هو أن الثالوث تعليمٌ خاصٌ دقيق. حقاً قال رسول المسيح عن حلول المسيح فينا إنه أمرٌ يجب أن يتأصل بالمحبة، وقدَّم الرسول أبعاد الإدراك: العرض – الطول – العمق – العلو، وهي: الإنسانية – السماء – إبادة الجحيم والموت – النعمة، أي نعمة الشركة، ولكنه حذَّر: "وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله"، ولم يتوقف عند ذلك، بل قال في دقة: "والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب (حتى في الأواشي)، أو نفتكر (حسب قدرتنا)، بحسب القوة التي تعمل فينا (قوة حلول الروح القدس الساكن فينا لأننا امتلأنا من كل ملء الله)" (أفسس ٣: ١٩ – ٢٠)، ثم ينتهي الرسول بذكصولوجية: "له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور" آمين (أفسس ٣: ٢١)، **فكيف نفهم على قدر استطاعتنا "الجسد الذي يملأ السموات والأرض"؟**

الملء ليس كماً ولا هو نوعٌ؛ لأن الله هو فوق الكم والنوع. والكلمة اليونانية πλήρωμα يمكن أن تُستخدَم للملء، كما يذكر إنجيل مرقس: "اثنتي عشر قفة مملوءة من السمك" (٦: ٤٣). ويبدو أن "ملء الأمم" في (رومية ١١: ٢٥)، هو الشعوب كلها، والعدد هنا مقصود ضمنياً.

والإنسان الكامل في (أفسس ٤: ١٣-١٤) هو الخلقة الجديدة التي لا ينقصها الحياة، وهو ما يذكره الرسول بولس بنفسه: "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً .. ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعاً إلى الايمان الواحد ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح". هذا ما نطلبه في أول القداس: "سلاماً وبنياناً لكنيسة الله"، تلك التي وُهِبَت: "مجد وكرامة للثالوث" الساكن فيها. والإنسان الذي ينمو نحو الرأس، أي المسيح، هو عضوٌ في الجسد، ولأن الرسول نفسه يتابع تقديم التعليم، فهو يؤكد أن "كل الجسد ينمو معاً"،

إذ ينال كل عضو "مؤازرة كل مفصل"، وهو ما يميِّز العضو عن العضو الآخر "حسب عملٍ على قياس (المسيح) كل جزء يحصل نحو الجسد لبنيانه في المحبة" (أف ٤: ١٥-١٦).

## المسيح هو ملء النعمة:

هو ملء النعمة أو المملوء نعمة (يوحنا ١: ١٦). ونحن نأخذ من هذا الملء. هنا، النوع والكم يختفيان؛ لأن (يوحنا ١: ١٦)، لا يمكن فصلها عن: "ملء الألوهة" في (كولوسي ١: ١٩). وعبارة رسول الرب: "فيه سُرَّ أن يحل الملء"، لها أصل عبراني ورد في الترجوم، عن حلول الشاكيناه سحابة المجد الإلهي في العهد القديم، وهي ذات السحابة التي ظللت أم النور: "قوة العلي تظللك"، وهي ذات السحابة المنيرة في تجلي الرب، وهي أيضاً ذات السحابة التي دخلها المسيح رب المجد عند صعوده.

ولكن هذا الملء هو المحبة الإلهية الفائقة المعرفة، التي -بدقة الرسول بولس نفسه- هي ليست فقط الملء، بل "كل ملء الله" (أفسس ٣: ١٨). لا يمكن أن يكون ملء، أو بدقة بولس "كل ملء الله" هو كم، ولا حتى نوع، إذ لا يوجد مقياس من أي نوع للمحبة الإلهية. ولذلك، الكنيسة هي "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ٣)، هي جسد "الملء"؛ لأنها جسد "الرأس" الذي "أخضع كل شيء تحت قدميه" (أفسس ١: ٢٢). فالمسيح يعمل بالقوة القادرة على كل شيء التي تحقق "قياس ملء قامة المسيح"، أي الحياة الكاملة الظافرة الأبدية، وهي التي رسم لها القديس بولس صورة كاملة في (رو ١٢: ٥-١١) عن حياة الكنيسة، وخَتَمَ بعد ذلك، بأن المحبة هي ملء، أو كمال الشريعة: "المحبة لا تصنع شراً بالقريب، فالمحبة هي تكميل الشريعة" (رو ١٣: ١٠). الملء إذن، ليس عملاً ميكانيكياً يتم فينا.

## ملء الزمان (غلا ٤: ٤):

ملء الزمان ليس قياساً زمانياً، رغم وجود كلمة "الزمان". "كمال الزمان" هو وصول الزمان إلى النهاية، إلى حيث لا يعمل؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت قد حذف الزمان والمكان والفصول وكل الشرائع التي تقدِّم الإنسان إلى الله؛ لأن الله هو الذي جاء بنفسه إلينا. ولذلك، جاء روح الابن في "ملء الزمان" لكل الذين عاشوا قبلاً تحت الشريعة، ولكنهم الآن صاروا أحراراً يصلُّون إلى الآب مع الابن: "أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤-٦).

## جسد المسيح في السماء:

نراه في سفر الرؤيا مع الجموع التي حول عرش الحَمَل ابن الله. ونراه في صلاة المجمع في التسبحة السنوية، وفي الهيتنيات قبل قراءة البولس، وفي المجمع عندما نقدِّم الذبيحة الالهية.

لقد أباد الربُّ كلَّ الموانع والفواصل التي مزَّقت الجنس البشري، **أولاً**: بإبادته للموت، **وثانياً**: بتأسيسه للمصالحة الأبدية، **وثالثاً**: دخوله إلى السماء -وهو الموضوع الذي شغل رسالة العبرانيين- لكي مِن السماء، يمارس كهنوته، ويعطي جسده الحياة، ويخدم احتياجات جسده الكنيسة. **رابعاً**: الرأس الواحد لجسد واحد، هو ما عبَّر عنه الرب نفسه بمثال أو تشبيه معروف لنا: "الكرمة" (يوحنا ١٥: ١-١١)، وهو من أجمل ما ذكره الرب عن اتحاده بنا، وعاد الرب وشرحه بنفسه بعد ذلك في (يوحنا ص ١٧) عن وحدة الآب والابن ووحدة الكنيسة التي مثَّلها الآباء الرسل والتي نحن فيها حسب الاعتراف بالإيمان: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية". "هذه الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها"، هي أيضاً في السماء حيث الحمل ابن الله، ولذلك يذكر الرسول أن الفرق بين اجتماع الله مع الشعب القديم في (عب ١٢: ١٨-٢٤) هو تحذير المؤمنين بأنهم لم يأتوا إلى جبل ملموس (حسي) مضطرم بالنار

وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق ... وهو استعلان الله على جبل الشريعة (١٢: ١٨ – ٢١)، بل أتيتم إلى جبل صهيون (جبل الله) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السماء، وحيث لا توجد سلسلة أنساب، وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكملين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش دم العهد، (وهي إشارة إلى كأس الرب نفسه) يتكلم أفضل من دم هابيل" (عب ١٢: ٢٤).

## الرِّدة عن سمائية الكنيسة:

الكنيسة كائنة في تدبير الله قبل خلق العالم. هكذا يكتب أغناطيوس الشهيد إلى كنيسة أفسس: "المعيَّنة قبل بدء الزمان" (الرسالة إلى افسس ١: ١١).

وفي شرح سفر النشيد للعلامة أوريجينوس: "لم توصف الكنيسة بأنها عروس المسيح عندما جاء المخلص في الجسد، بل هي عروس المسيح منذ بدء الجنس البشري عند تأسيس العالم، بل أستطيع –تحت إرشاد بولس– أن أنظر إلى ذلك السر الفائق، وهي أنها كائنة قبل خلق العالم. لأنه يقول: "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه" (أفسس ١: ٤–٥)" (شرح سفر النشيد ٢: ٢٨).

وفي لمحة شعرية لمار افرام السرياني يقول عن الكنيسة:

– بنى موسى خيمة الاجتماع

– في البرية من أجل الله

– لأن الله لم يسكن بعد في القلوب

– الآن يسكن في قدس الأقداس

- من أجل الأمم بنيت الكنيسة
- اجتماع من أجل الصلاة
- في نفوسنا تسكن القوة
- التي تقود كل الكائنات
- بمعمودية الروح القدس؛
- نشترك في غفران الخطايا
- وبالقوة التي تحل على الخبز؛
- يدخل الرب ويستريح فينا.

(نشيد ٤٨: ١٣-٢٤).

الذي يُكوِّن الكنيسة هو المسيح نفسه، ولذلك سُمِّيَت باسمه الشخصي "جسد المسيح". هذا التكوين هو عمل الابن الذي نراه بشكلٍ واضحٍ في السرائر، وهو كما وصفه شاعر السريان العظيم مار إفرام، وما تغنَّى به كل الآباء، وتفوق فيه أوغسطينوس على معاصريه، وهو ما جعل قانون الإيمان يؤكده: "كنيسة واحدة"، فالجسد واحد، والرأس واحد، والجسد والرأس هما معاً ينبوع المسيح.

سمائية الكنيسة ووجودها في السماء، هو أساس شفاعة القديسين، فكيف حدثت الردة عن البُعد السمائي للكنيسة؟

يكمن الجواب في:

**أولاً**: في رئاسة الجسد، وتقسيم الجسد الواحد إلى منظور على الأرض يرأسه

البابا، وغير منظور يرأسه المسيح رب الكنيسة. وهكذا تُرك تدبير الكنيسة لمن هم على الأرض دون مرجعية إلهية سمائية، فقد انتزعوا مكان الرب، واخذوا مكانه. كان هذا التقسيم معروفاً في العصر الوسيط في الكنيسة الرومانية، وقاومه الأستاذ حبيب جرجس في كتاب "الصخرة الأرثوذكسية".

**ثانياً**: وصارت أحد مضاعفات هذا التحول هو حلول الشريعة محل الإيمان. ونمو السلطان الكهنوتي، وهو سلطان خاضع لعمل وتدبير الرب نفسه بواسطة الروح القدس، ولكن حتى الروح القدس نفسه استُبعِد وصار أقنوماً منفصلاً بعيداً يعطي مواهب ولا يسكن ولا يحل فينا، وبات عمله في السرائر غامضاً. لم يعد الخطاب القبطي المعاصر يصف الكهنوت بأنه كهنوت الرب يسوع؛ لأن هذا يحدد سلطان الكهنوت بحدود التدبير ويجعل الكهنوت خدمة. ولعل من يدرس جيداً صلوات الرسامات في كنيستنا يجد أنها لا تحتوي بالمرة على كلمة "سلطان"، بل حتى في صلوات التحليل/ لا سيما صلاة: "أيها السيد الرب يسوع المسيح الذي قطَّع كل رباطات خطايانا .. **أنعمت على الذين يعملون في الكهنوت** ..."، لا وجود لأي سلطان؛ لأن البذل لا يتم بسلطان، بل هو عطاء. وقول الرب نفسه هو منارةٌ لنا: "لأن ابن الانسان لم يأتِ لكي يُخدَم بل ليخدِم ويبذل نفسه فديةً عن كثيرين".

## كنيسة سماء وأرض كنيسة واحدة:

يدور خادم السرائر بالبخور مقدِّماً البخور للرب يسوع، ولوالدة الإله، وليوحنا المعمدان، وشفيع الكنيسة، وكل الذين نراهم في الأيقونات، وللشعب كله .. هؤلاء هم معنا يشتركون في خدمتنا، ويطلبون من الرب معنا، طلبةً لكي ننال معهم ذات المجد.

لكن جاء تعليم العصر الوسيط بما يسمى الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة، وصنع بذلك كنيستين، وبذلك فَصَلَ وهَدَمَ وحدة الجسد الواحد. من هذا الفصل جاء

الاستبداد بالرأي ومطاردة الذين اختلفوا مع الرئاسة وصدرت قرارات الحرمان، ونمت حملات الكراهية؛ لأن البُعد السمائي غاب كما غاب أيضاً أن الكنيسة هي جسد المسيح، وغاب أيضاً أن الإفخارستيا هي التي تجعلنا جسد المسيح، إذ حُسِبَت الكنيسة الجسد الثالث الذي لا نعرف من أين جاء، حسب ادعاء الأنبا شنودة بوجود ثلاثة أجساد، وهو لم يشرح لنا العلاقة بين هذه الأجساد الثلاثة.

هذه الرِّدة هي التي حوَّلت الكنيسة إلى مؤسسة، جعلت أيَّ نقدٍ لأيٍّ من الإكليروس هو نقد للكنيسة، فقد تم اختزال الكنيسة في الإكليروس المعاصر، وبالتالي انفصل الواقع المعاصر عن الأساس التاريخي.

إن إدارة المؤسسة هي التي جعلت الشريعة مصدر حياة المؤسسة، لا الإيمان، ولا شركتنا في الثالوث، ولا أيٌّ من النعم التي نأخذها في السرائر.

هذا الانحدار نحو هاوية الموت الروحي؛ لأن لنا وجوداً اجتماعياً وبيولوجياً، أي أننا أحياء نأكل ونشرب ونتزوج وندخل حلبة الحياة السياسية، ولكن الشهادة الحية لمكانة الإنسان وعزَّته عند خالقه غابت؛ لأن الشريعة هي ما هو جائز، وما هو مسموح، وهذا ليس من المحبة ولا من الإيمان.

إن ما دار من حوار حول تناول المرأة في أسبوعٍ معيَّنٍ من الشهر، كَشَفَ عن جسامة خطأ عقيدي، وهو أن الدفاع عن المنع تسنده قوانين، لا أريد أن أناقش مصدرها التاريخي، فقد ناقشنا ذلك بالتفصيل في كتابنا عن التطهيرات الجسدية، ولكن تبقى الحقيقة السافرة، وهي أن الذين يمنعون المرأة بسبب وظيفة جسدها، هم الذين جعلوا الشريعة لا المسيح يسوع أساساً للحياة، وهو هنا أساسٌ زمانيٌّ بائدٌ؛ إذ لا توجد شريعة موسوية في السماء، فهي موضوعة للأرض ولزمانٍ انقضى (عب ٩: ١٠)، بل حسب نفس الرسالة: "أمَّا عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٠) ينزع الأول لكي يثبِّت الثاني (عب ١٠: ٩). لكن الإصرار على بقاء الشريعة هو خطية مع سبق الإصرار والترصد لبقاء الشريعة وحذف من قال لنا: "أنا هو القيامة والحياة".

أقول في كل ما أكتب: لقد طال ليل الاغتراب وساد علينا فكـــر المرتـــدين، ولكن الربَّ يسوع حيٌّ حاضرٌ، سوف يرسل الأحياء الذين أساس حياتهم هو هو ولا أحد آخر؛ لكي يكونوا كما كانوا في تاريخنا الطويل خميرة الحياة الجديدة.

المسيح قام

د. جورج حبيب بباوي